

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تحقيقُ المحقق الخميني حول طمسِ الجَبَر

لقد استعرضنا مقالة المحقق البروجردي و الان سننطرض إلى جوابية المحقق الخميني حول عرقلة الجبر ثم نقارن ما بينهما - اشتراكاً و تمايزاً - فابتداً الإجابة فائلاً:

«تحقيقُ به يُدفع الإشكالُ: أعلمُ: أنَّ الأفعالُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ الصَّادِرَةُ مِنَ النَّفْسِ عَلَى ضَرَبَيْنِ:

1. أحدهما: ما يَصْدُرُ مِنْهَا بِتَوْسِطِ الْآلاتِ الْجِرْمَانِيَّةِ (الظَّاهِرِيَّةِ) كَالْكِتَابَةِ وَالصِّيَاغَةِ وَالْبَنَاءِ، فِي مِثْلِهَا تَكُونُ النَّفْسُ فَاعِلَةً لِلْحَرْكَةِ أَوْلًا وَلِلأَثْرِ الْحَاسِلِ مِنْهَا ثَانِيًّا وَبِالْعَرْضِ، فَالْبَنَاءُ إِنَّمَا يُحْرِكُ الْأَحْجَارَ وَالْأَخْشَابَ مِنْ مَحْلٍ إِلَى مَحْلٍ وَيَضْعُهَا عَلَى نَظَمٍ خَاصٍ وَتَحْصُلُ مِنْهُ هِيَةٌ خَاصَّةٌ بِنَائِيَّةٍ وَلَيْسَتْ هَيَّةً وَالنَّظَمُ (النَّاتِجُ) مِنْ فَعْلِ إِنْسَانٍ إِلَّا بِالْعَرْضِ، وَمَا هُوَ فَعْلُهُ بِالْأَلْهَةِ هُوَ الْحَرْكَةُ الْقَائِمَةُ بِالْعَضَلَاتِ أَوْلًا وَبِتَوْسِطِهَا بِالْأَجْسَامِ، وَفِي هَذَا الْفَعْلِ تَكُونُ بَيْنَ النَّفْسِ الْمُجَرَّدَةِ وَالْفَعْلِ وَسَائِطٌ وَمَبَادِيٌّ مِنَ التَّصْوِيرِ إِلَى الْعَزْمِ وَتَحْرِيكِ الْعَضَلَاتِ.

2. والضَّرَبُ الثَّانِي: ما يَصْدُرُ مِنْهَا بِلَا وَسْطٍ أَوْ بِوَسْطِ غَيْرِ جَسْمَانِيِّ كَبَعْضِ التَّصْوِيرَاتِ الَّتِي يَكُونُ تَحْقِيقُهَا بِفَعَالِيَّةِ النَّفْسِ وَإِبْجَادِهَا (مِباشِرَةً) - لَوْلَا نَفَلَ جَمِيعُهَا كَذَلِكَ - مِثْلُ كُونِ النَّفْسِ لِأَجْلِ الْمَلَكَةِ الْبِسِيَطَةِ الْحَاسِلَةِ لَهَا مِنْ مَارَسَةِ الْعِلُومِ خَلَقَةً لِلتَّفَاصِيلِ (بِلَا وَسِيطٍ) وَمِثْلُ اخْتِرَاعِ نَفْسِ الْمُهَنْدِسِ صُورَةً بَدِيعَةً هَنْدِسِيَّةً؛ فَإِنَّ النَّفْسَ مَعَ كُونِهَا فَعَالَةً لَهَا بِالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْاِخْتِيَارِ لَمْ تَكُنْ تَلَكَ الْمُبَادِيِّ حَاسِلَةً بِنَحْوِ التَّفَاصِيلِ كَالْمُبَادِيِّ لِلْأَفْعَالِ الَّتِي بِالْآلاتِ الْجِرْمَانِيَّةِ؛ ضَرُورَةً أَنَّ خَلَقَ الصُّورَ فِي النَّفْسِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَصْوِيرِهَا وَالْتَّصْدِيقِ بِفَائِدَتِهَا وَالشَّوْقِ وَالْعَزْمِ وَتَحْرِيكِ الْعَضَلَاتِ، بَلْ لَا يَمْكُنُ تَوْسِيتُهُ تَلَكَ الْوَسَائِطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّفْسِ؛ بِدَاهَةِ دُمُّ إِمْكَانِ كُونِ التَّصْوِيرِ مُبَدِّلًا لِلتَّصْوِيرِ (الْآخِرِ) بِلِنَفْسِهِ حَاسِلٌ بِخَلَاقِيَّةِ النَّفْسِ وَهِيَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ (تَوْلِيدِ التَّصْوِيرَاتِ) فَاعِلَةً بِالْعِنَايَةِ (بِحِيثُ إِنَّ نَفْسَ الْعِلْمِ بِالسُّقُوطِ مِنَ الْمُرْتَفَعِ يُعَدُّ مِنْشًا لِلسُّقُوطِ إِذْ يَخْلُقُ تَلَكَ التَّصْوِيرَاتِ) بِلِتَّجَلِّيِّ (وَهَذَا فِي الْعِلْمِ الْحَضُورِيِّ كَالْجُوعُ وَالْعَطْشُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَدُّ فَاعِلًا بِالْتَّجَلِّيِّ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ إِجْمَالًا فِي ذَاتِهِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ وَفِي نَفْسِ الْحَيْنِ يَعْلَمُ حَضُورًا بِحَدُوثِهَا تَفْصِيلًا، وَهَذَا الْقَسْمُ لَا صُورَ فِيهَا بِلِعِلْمٍ تَفْصِيلِيِّ حَضُورِيِّ بِالشَّيْءِ لِأَنَّهَا (النَّفْسُ) مُجَرَّدَةُ وَمَجَرَّدَةُ وَاجِدٌ (وَمُسَيْطِرٌ لِفَعْلِيَّاتِهَا) هُوَ مَعْلُولٌ لَهُ فِي مَرْتَبَةِ ذَاتِهِ (فَالنَّفْسُ يَخْلُقُ النَّظَرِيَّةَ لِأَنَّهَا تُعَدُّ مَعْلُولًا بِاطِّنَهُ تَمَامًا فَذَاكَ التَّصْوِيرُ مَتَوَاجِدٌ فِي كَمُونِ إِنْسَانٍ إِجْمَالًا ثُمَّ حِينَ الْخَلْقِ سَيَعْرِفُ تَفْصِيلًا وَلَهَا قَدْ وَرَدَ: مِنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ إِذْ وَجَدَ اللَّهَ قَدْ اسْتُوْدَعَ فِي فَطْرَةِ إِنْسَانٍ فِيَّ تَصْوِيرُهُ إِجْمَالًا ثُمَّ تَفْصِيلًا) فَخَلَاقِيَّتُهُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَصْوِيرِ زَائِدٍ (كَيْ تَتَسَلَّلُ التَّصْوِيرَاتُ) بِلِوَاجِدِيَّةِ الْذَّاتِيَّةِ (حَضُورًا لِتَلَكَ الصُّورَةَ) فِي مَرْتَبَةِ تَجْرِيَّهَا الْذَّاتِيِّ الْوَجُودِيِّ تَكْفِي لِلْخَلَاقِيَّةِ (وَهَذِهِ النَّقْطَةُ فِي غَايَةِ الْأَهْمَيَّةِ حِيثُ إِنَّ النَّفْسَ الَّتِي تُعَدُّ عَلَةً قَدْ خَلَقَتْ مَعَالِيَّهَا الْمَكْتُونَةَ فِي جَوْفِهَا فَهَذِهِ الْخَلَاقِيَّةُ تَحْقِقُ بِشَكْلِ ذَاتِيٍّ بِلَا حَاجَةٍ إِلَى الْمَقْدِمَاتِ الْزَائِدَةِ كَيْ تَتَسَلَّلُ) كَمَا أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِرَادَةٍ وَعَزْمٍ وَقَصْدٍ زَائِدٍ عَلَى نَفْسِهِ.

إِذَا عَرَفَ ذَلِكَ فَاعْلَمُ أَنَّ الْعَزْمَ وَالْإِرَادَةَ وَالْتَّصْمِيمَ وَالْقَصْدَ مِنْ أَفْعَالِ النَّفْسِ وَلَمْ يَكُنْ سَبِيلُهَا سَبِيلَ الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ مِنَ الْأَمْوَارِ الْأَنْفَعَالِيَّةِ (الْمُحْتَاجَةِ إِلَى الْمَقْدِمَاتِ) فَالنَّفْسُ مُبَدِّلًا لِلْإِرَادَةِ وَالْتَّصْمِيمِ وَلَمْ تَكُنْ مَبْدَيَّتُهَا بِالْآلاتِ الْجِرْمَانِيَّةِ (الْمُحْتَاجَةِ إِلَى الْمَقْدِمَاتِ)

بل هي (النفس) موجودة لها (للإرادة) بلا وسط جسمانيٍّ (فما اشتهر بمقمية التصور و الشوق و ... للإرادة غيرُ سديدٍ إذ الشوقُ من الأمور الانفعالية المحتاجة إلى المقدمات بينما الإرادة من خلق النفس مباشرةً) وما كان حاله كذلك (التواجُد بلا وسيطٍ) في صدوره من النفس (كالإرادة) لا يكون بل لا يمكن أن يكون بينه وبينها إرادةٌ زائدة متعلقة به (كي تَسْلُسُ الإراداتُ بل هي موجودةٌ له بالعلم والاستشعار الذي في مرتبة ذاتها وبالعزم والإرادة والاختيار الحاصلة في تلك المرتبة؛ لأنَّ النفس مبدُوها فاعلٌ إلهيٌّ بالنسبة إليها (متوفَّرٌ في كيان الإنسان إجمالاً) والفاعلُ الإلهيُّ واجدٌ لثره بنحوٍ أعلى وأشرفَ (في وجود الإنسان ولكنَّ النفس هي الحالةُ مباشرةً) فكما أنَّ المبدأ للصور العلمية واجدٌ لها في مرتبة ذاته البسيطة بنحوٍ أعلى وأشرفَ وأكملَ فكذا الفاعلُ للإرادة، لكن لما كانت النفس ما دامت متعلقة بالبدن ومسجونةٌ في الطبيعة غير تامة التجرد تَجُوزُ عليها التغيرات والتبدلات والفاعلية تارةً وعدتها أخرى، والعزم وعدمه، فلا يجب أن تكون فعالةً بالدوارم ولا عالمةً وعازمةً كذلك. نعم، لو فرض حصول التجرد التام لها تشير مبدأً للصور الملكوتية من غير تختلف عنها إلا بوجه الظهور والبطون مما يعرفه الراسخون في العلم. (ولهذا حينما يموت البشر سيتجرد تماماً عن سجن المادة)[1]»

فبالنَّالِي، إنَّ المحققُ الْخُمَيْنِيَّ قد صاغَ إجابَتَه بصيغَةٍ فلَسْفِيَّةٍ - خلافاً للمحقق النائينيِّ - حيث يعتقدُ بأنَّ الأمور الماديَّة تَتَطلَّبُ مقدماتٍ تكوينيَّةً لحركة العَضَلَات بينما العناصرُ الْبَاطِنِيَّةُ كالتصور و الشوق و ... مُسْتَغْنِيَّةً عن مقدماتٍ زائدةٍ طوليةً فلا يتَولَّ التَّسْلُسُ أساساً إذ نمطُ النفس يُعدُّ مجرَّداً عن الوسائل المُتَزايدَةِ، فعلى هذا المِنْوَالِ سُتُّصِبِّ الإرادةُ مُوحَّدةً بلا تكاثُرٍ للإراداتِ فلا تَسْلُسَ إِذ النفسُ تُعدُّ فاعلةً بالعنابةِ - كالعلم الحضوريِّ - فلو اعْتَنَتْ إِلَى الإرادة الإجماليةِ بجوفها لَخَلَقَتْ إِرادةً تفصيليَّةً تجاهَ المراد المُحدَّد، فالناتجُ أنَّ عنصريِّ الإرادةِ و الاختيارِ مُتَحِدَّانِ معاً - وفقاً للمحقق الاصفهانيِّ و الأسفارِ.

بينما المحقق النائينيِّ رغم تصريحه بأنَّ النفسَ تخلُّقُ العناصرُ الْبَاطِنِيَّةَ في جوفها - فهي من فعل النفس لا من الصَّفاتِ - و لكنه قد صاغَ بيَانَه صياغَةً عُرْفِيَّةً بأنَّ هناك عنصراً رابعاً ما بين الإرادة و الحركة فسماهُ بالاختيار[2] بينما المحقق الْخُمَيْنِيَّ قد أَدْمَجَ ما بين الإرادة و الاختيارِ.

و أمَّا المحققُ الْحَائِرِيُّ فقد رَكَّزَ الإجابةَ عَلَى المصلحةِ في نفسِ الإرادةِ من دون نظرَةٍ إِلَى منشأِ هذهِ الإرادةِ - ضروريَّةُ أمِّ من إرادةٍ ممكِّنةٍ أخرىِ - فحينما رَكَّزَ المصلحةَ عَلَى الإرادةِ الأولىِ فقد انقطعَ التَّسْلُسُ يتعلَّقُ المصلحةَ في نفسِ الإرادةِ بلا إراداتٍ مُتَتَالِيَّةِ إطلاقاًً بحيث قد استَغْنَيْنا عن إرجاعِ الإرادةِ إِلَى الإرادةِ الأَزْلِيَّةِ الْقَهْرِيَّةِ لِيُنْتَجَ الجُبرُ، بل الإرادةُ الثانيةُ ستَتَوقَّفُ عَلَى الإرادةِ الأولىِ - ذاتِ المصلحةِ و الملاكِ - فحسب، بينما المحقق الْخُمَيْنِيَّ قد بَسَطَ مَنْشأَ الإرادةِ بحيث أَدْرَجَها ضمنَ مخلوقاتِ النفسِ البشريةِ إِلَى أَخْرِهِ... .

إذن، حتَّى الآن قد استَعْرَضَنا 7 أُجُوبَةً مُتمَيَّزةً عن البعضِ، و في الجلسةِ القادِمةِ سَنَسْتَجْمِعُ كافَّةَ الأَقَوِيلِ ضمنَ بِيَانٍ فارِدٍ كَيْ نَتَخَرَّجَ بِأَنْمَمِ الأُجُوبَةِ في هذهِ السَّاحَةِ و نُهْيِ النَّقَاشَ تاماً.

[1] موسوعة الإمام الْخُمَيْنِيَّ قدس سرِّهُ الشَّرِيفِ. ج 2. ص 32 تهران - ايران: مؤسسه تنظيم و نشر آثار امام خمینی (س).

[2] و لكنه غير صحيح: «فالحق فيه أيضاً أن هناك مرتبة أخرى بعد الإرادة تسمى بالطلب و هو نفس الاختيار و تأثير النفس في حركة العَضَلَات لجامعة من محققي المتأخرین و منهم المحقق صاحب الحاشية (قده) و البرهان عليه أن الصفات القائمة بالنفس من الإرادة و التصور و التصديق كلها غير اختيارية فان كانت حركة العَضَلَات مترتبة عليها من غير تأثير النفس فيها و بلا اختيارها فبلزم أن لا تكون العَضَلَات منقادة للنفس في حركاتها و هو باطل وجداناً فان النفس تامة التأثير في العَضَلَات من دون ان يكون لها مزاحم في سلطانها و ملکها.